# شرح قصيدة وهل يخفى القمر

إن بيت الشعر الذي يحوي عبارة " وهل يخفى القمر" هو بيت من أبيات القصيدة الرائية المعروفة للشاعر الأموي عمر بن أبي ربيعة، والتي يصف فيها المرأة ويقدم صورة عنها مفتخراً بنفسه ومباهياً بمحبة النساء له ورغبتهن به، على خلاف شعراء الغزل العذري العفيف أمثال كُثيّر بن عبد الرحمن الخزاعي -المعروف بكُثيّر عزّة- وغيره، وقد عاب عليه الكثير من النقاد الصورة التي صور بها المرأة في هذه القصيدة وقيل: إنّ المرأة يجب أن تكون مطلوبة متمنّعة لا طالبة كما أظهرها عمر في القصيدة، وقال ابن عتيق أنّه لم ينسب بالفتيات ولكنّه قد نسب بنفسه، فكأنّه يريد أنّ عمر بن أبي ربيعة حتى في غزله يباهي بنفسه لا بالمحبوبة أو المحبوبات.

هَيَّجَ القَلبَ مَغانٍ وَصَيَر  دارساتٌ قَد عَلاهُنَّ الشَجَر

وَرِياحُ الصَيفِ قَد أَزرَت بِها  تَنسِجُ التُربَ فُنوناً وَالمَطَر

ظِلتُ فيها ذاتَ يَومٍ واقِفاً  أَسأَلُ المَنزِلَ هَل فيهِ خَبَر

كعادة الشعراء العرب في ذلك الزمان ابتدأ الشاعر عمر بن أبي ربيعة قصيدته بالوقوف على الأطلال ومخاطبة الديار التي كانت تسكن فيها محبوبته، ويقول لقد أثارت مناظر هذه الاطلال ونسمات الرياح العليلة مشاعري القديمة للنساء الغواني اللواتي كنّ يسكنّ في تلك الديار ورياح الصيف تأتي باردة وكأنها ممزوجة بالمطر وتبلل التراب من رطوبتها، وقفت على أطلال هذه الديار في أحد الأيام أسأل المنازل والبيوت عن أخبار ساكنيها الذين رحلوا عنها.

لِلَّتي قالَت لِأَترابٍ لَها  قُطُفٍ فيهِنَّ أُنسٌ وَخَفَر

إِذ تَمَشَّينَ بِجَوٍّ مُؤنِقٍ  نَيِّرِ النَبتِ تَغَشّاهُ الزَهَر

بِدِماثٍ سَهلَةٍ زَيَّنَها  يَومُ غَيمٍ لَم يُخالِطهُ قَتَر

قَد خَلَونا فَتَمَنَّينَ بِنا  إِذ خَلَونا اليَومَ نُبدي ما نُسِر

فَعَرَفنَ الشَوقَ في مُقلَتِها  وَحَبابُ الشَوقِ يُبديهِ النَظَر

يكمل الشاعر عمر بن أبي ربيعة قصة وقوفه على الأطلال وتذكره لمحبوبته التي كان لديها مجموعة من الصديقات الحسناوات عندما خرجن في أحد الأيام يتمشين في جو جميل يزينه الهواء العليل والأزهار المتفتحة والمتناثرة في الأرجاء، وكانت الشمس في ذلك اليوم تحجبها الغيوم الخفيفة فالسماء بيضاء صافية ليست بالمشمسة القوية ولا بالغائمة المظلمة، ولم يخالط المطر ذلك الغيم في ذلك اليوم، وفي ذلك اليوم خلت تلك الفتيات مع محبوبته وكانت تتمنى أن تبوح بما في صدرها من شوق لملاقاته إلا أنها كانت تكتم ذلك ولا تبوح به، ولكن الشوق الذي في عينيها قد فضحها أمام صديقاتها فعرفت الصديقات ما تخفيه محبوبته من حبها له وشوقها لملاقاته.

قُلنَ يَستَرضينَها مُنيَتُنا  لَو أَتانا اليَومَ في سِرٍّ عُمَر

بَينَما يَذكُرنَني أَبصَرنَني  دونَ قَيدِ المَيلِ يَعدو بي الأَغَر

قالَتِ الكُبرى أَتَعرِفنَ الفَتى  قالَتِ الوُسطى نَعَم هَذا عُمَر

قالَتِ الصُغرى وَقَد تَيَّمتُها  قَد عَرَفناهُ وَهَل يَخفى القَمَر

وفي ذلك الوقت الذي عرفت فيه الفتيات شوق محبوبة عمر للقائه ولهفتها لرؤيته، قلن لها: لعل عمر يطل علينا في هذا اليوم فترينه وتتحقق أمنيتك في رؤيته، وبينما كانت الفتيات تقول ذلك الكلام إذ يطل عمر من بعيد فتبصره الفتيات وهو مقبل على فرسه الأغر، فقالت الفتاة الأكبر من بين الفتيات متسائلة: من هو ذلك الفارس الذي يطل علينا من بعيد على ذلك الفرس الأغر؟ أتعرفن من ذلك الفتى؟ فقالت الفتاة الوسطى: نعم أنا أعرفه إن ذلك الفارس هو عمر بن أبي ربيعة، وعندها لم تستطع الفتاة الصغيرة التي أبهرتها صورة الشاعر وهيبة قدومه على فرسه من منع نفسها من البوح عن إعجابها به، فقالت: إننا نعرف ذلك الفارس إنه عمر بن أبي ربيعة، ونحن نعرفه معرفةً جيدة كما نعرف القمر.

ذا حَبيبٌ لَم يَعَرِّج دونَنا  ساقَهُ الحَينُ إِلَينا وَالقَدَر

فَأَتانا حينَ أَلقى بَركَهُ  جَمَلُ اللَيلِ عَلَيهِ وَاِسبَطَر

وَرُضابُ المِسكِ مِن أَثوابِهِ  مَرمَرَ الماءَ عَلَيهِ فَنَضَر

قَد أَتانا ما تَمَنَّينا وَقَد  غُيِّبَ الأَبرامُ عَنّا وَالقَذَر

ويكمل الشاعر روايته على لسان الفتيات اللواتي يتحدثن عنه من شدة إعجابهن به، فيقلن: إن هذا الفارس قد ساقه القدر إلينا وأجبره على السير في طريقه لكي نراه ويرانا، وقد أتانا هذا الفارس وتقدم نحونا بعد أن نزل عن فرسه الأسود وبدأ يتقدم إلينا برفق وهيبة كبيرة، والطيب يفوح من أثوابه وكأنه يقطر من ثوبه

كما يقطر الماء من الثوب المبلل، فهذا الذي تمنيناه وكنا نتحدث عنه قد أتانا وقدم إلينا وساقه القدر نحونا، وقد أضل القدر دروب الذين لا نتمناهم عن الوصول إلينا.